كتاب

دبي الثقافية

يصدر عن مجلة دبي الثقافية

ويوزع مجاناً مع المجلة

الإصدار 32

وليم شكسبير

سونيتات

نقلها إلى العربية

د. كمال أبو ديب

■ الطبعة الأولى، يناير ٢٠١٠

■ حقوق الطبع محفوظة لدار الصدى

كتاب دبي الثقافية

المدير العام رئيس التحرير

سيف محمد المري

مدير التحرير

ناصر عراق

المدير الفني

أيمن رمسيس

الإخراج والتنفيذ

محمد سمير

مدير العلاقات العامة

محمد بن مسعود

مجلة دبي الثقافية تصدر عن دار

الصدى

للصحافة والنشر والتوزيع

عناوين المجلة

www.alsada.ae

■ التحرير والادارة دبي:
الإمارات العربية المتحدة دبي
منطقة الصفا شارع الشيخ زايد
هاتف: ٣٤٢٢٢٢٤/٩٧١٤+
فاكس: ٣٤٢٢٦٦٦ ٣٤٢٢٩٣٩/٩٧١٤+
أبوظبي هاتف: ٦٢٦٨٨٩٢/٩٧١٢+
فاكس: ٦٢٦٨٨٨٣/٩٧١٢+

■ الإعلانات والتسويق:
دبي شارع الشيخ زايد
برج المدينة (٢) شقة ٤٠٢ ص.ب: ٢٩٠٦٦
هاتف: ٣٣١٤٣١٤/٩٧١٤+
فاكس: ٣٣٢٢٢٩٢/٩٧١٤+

■ التوزيع والاشتراكات:
هاتف: ٣٤٩٠١٠٠/٩٧١٤+
فاكس: ٣٤٩٠٦٠٠/٩٧١٤+

هذا الكتاب

بقلم: سيف المري

قراءنا الأعزاء، يسعد مجلة دبي الثقافية أن تهدي إليكم هذا الإصدار للدكتور كمال أبو ديب، وهو من الأعمال الرائدة في مجال الترجمة لشاعرٍ في الغرب يعادل المتنبي في الشرق شهرةً وتأثيراً مع الفوارق في الزمن والفكر حيث إن شكسبير ليس مجرد شاعر بل هو ظاهرة كما كان المتنبي في لغتنا ظاهرةً، ولعل أصعب أنواع الترجمة ترجمة الشعر لأن الترجمة عادةً تفقد الشعر سحر كلمات لغته الأصلية ودقة ورقة معانيها، حيث إن جرس الكلمة في اللغة الأولى يكون مختلفاً ومميزاً، ولهذا فإن أفضل من يستطيع ترجمة الشعر هم الشعراء، لأن ترجمة الشعر تقتضي من المترجم قدرةً فائقة على اختيار المرادف من اللغة المنقول إليها، فهي في الحقيقة ترجمة للمشاعر أكثر منها ترجمة للمعاني! ولعل الحضارة العربية منذ أيامها الأولى عمدت إلى الترجمة كمصدر من مصادر الفكر، ومازالت الترجمة منهلاً من مناهل التلاقح الفكري بين الثقافات، وإن كان الشعر هو ديوان

العرب فإنه ليس حكرا على العرب وحدهم بل إنه فن إنساني موجود في كل اللغات قديمها وحديثها، مع التسليم بأن العرب في جاهليتهم لم يعرفوا أدباً غيره ولكنه ليس اختراعاً عربياً لننسبه إلينا ونتميز به دون غيرنا، فقد عرف الأدب الإنساني فنوناً في الشعر لم نعرفها، ولعل أجلاها الفن الملحمي والذي برز وتميز على يد هوميروس شاعر الإغريق منذ آلاف السنين بينما امتاز الشعر العربي بأنه شعر غنائيٌ معبر عن ذاتية الشاعر، كما أن الشعر المسرحي لم يظهر عند العرب إلا في القرن الماضي بينما عرفه الغرب قبل ذلك بقرون، ومن هنا تأتي أهمية ترجمة الأعمال الشعرية لشكسبير ومن في مستواه من رواد الشعر والمسرح في أوروبا ليتمكن القارئ العربي من الاطلاع على ما قدمه هذا الشاعر وأمثاله إلى روح الشعر الإنسانية، ودبي الثقافية إذ تشكر للدكتور كمال أبو ديب جهده في إصدار هذه الترجمة فإنها تتمنى أن يحوز هذا العمل على اهتمام قرائها ورضاهم.

شكسبير.. وأبو ديب
همسات الشعر وعطر النقد

بقلم: ناصر عراق

هذا كتاب صعب، لكنه بديع وفاتن ومعلّم!

لماذا؟

لأن شكسبير ليس كاتباً عادياً، بل يعد أهم مبدع في الألفية الثانية كلها وفقاً للاستفتاء الذي نظمته إحدى المؤسسات الغربية في نهاية القرن المنصرم! الأمر الذي يعني أن التصدي لترجمة شكسبير ضرورة تفرضها عبقرية الرجل وتراثه الأدبي المذهل الذي تركه للإنسانية كلها!

لكن شكسبير ليس واحداً، إنه كاتب مسرحي وشاعر وممثل ومخرج وصاحب فرقة مسرحية، فأي شكسبير نترجم، وأي شكسبير يحتم علينا أن نقترب من عالمه فنفضّ أسراره ونكشف سجاياه؟

اختار الناقد الكبير الدكتور كمال أبوديب الجانب الشعري في شكسبير ليقدم لنا ترجمة آسرة لسونيتات الرجل بأكثر من صيغة شعرية تؤكد افتتان الناقد بالشاعر وشعره، ومعه حق!

لكن أبوديب لم يقنع بإخضاع النص الإنجليزي لقوانين اللغة العربية وحلاوتها وأجروميتها، بل راح – بحس الناقد الحصيف – يفتش وينقب ويبحث عن فن السونيت وأصله، ومَنْ أول من أبدعه من الأوروبيين، وهل تأثروا بالموشحات الأندلسية، أم لا؟

وقد استخدم الرجل أحدث المناهج النقدية لتعينه في بحثه المدهش هذا! ولأن ناقدنا الكبير الدكتور كمال أبوديب يتمتع بموهبة إبداعية لافتة، فهو لا يصوغ دراساته عن شكسبير بلغة الأكاديميين الجافة التي تصيب قارئها بالضجر، بل يقدم لنا بحثاً شائقاً يضج بسحر لغتنا العربية ورشاقتها وحلاوتها، ما يجعل القارئ يلتهم كتاباته التهاماً!

«وليم شكسبير.. سونيتات» هو الكتاب رقم ٣٢ في سلسلة كتاب دبي الثقافية التي تحقق نجاحاً غير مسبوق في عالم النشر والإبداع نظراً لأن رئيس التحرير الأستاذ سيف المري قرر توزيع هذا الكتاب مجاناً كل شهر مع مجلة دبي الثقافية تدعيماً للفكر والإبداع وتشجيعاً على القراءة وعشق المعرفة!

«وليم شكسبير.. سونيتات» كتاب ممتع ومختلف، أبدعه كاتب موفور الصيت على مر القرون ونقله إلى العربية ناقد كبير من الطبقة الأولى..!

وهل تطمع عزيزي القارئ في أكثر من ذلك؟

www.books4all.net

وليم شكسبير

سونيتات
أو
تواشيح

اختارها ونقلها إلى العربية

في صيغتين نثرية وشعرية

مع دراسة لفن السونيت

وعلاقتها بالموشحات الأندلسية

الدكتور
كمال أبو ديب

أستاذ كرسي العربية في جامعة لندن

www.books4all.net

وردةُ مودّة،
ووشاحُ عيدِ ميلاد

إلى

الداكنة
هي أيضاً

التي أحبت سونيتات شكسبير بلغتها الإنكليزية الفاتنة،
وتمنت أن تقرأها، فتحبّها، تواشيحَ منسوجةً بلغتها العربية الفاتنة.
وهل ثمّة ما هو أجملُ من أن يحقّق المرء
أمنيةً جميلةً

لامرأةٍ أجملَ.؟

كتاب في الطائفية 32
الإصدار «٣٢» يناير ٢٠١٠

www.books4all.net

مختارات من الترجمة الكاملة للسونيتات التي أسعى لإنجازها لتصدر في طبعة ثنائية اللغة

د. كمال أبو ديب

www.books4all.net

وليم شكسبير وفنّ السونيت

وعلاقة السونيت بالموشحات الأندلسية

www.books4all.net

(١)

أن تقترب من وليم شيكسبير لتترجمه يشبه، في خيالي الغرائبي، ودونما تجربة سابقة، أن تعرف أنك تقترب من المطْهر لتدخله وأنت مثقل حتى الإرهاق بالخطايا. تعلم علم اليقين أنك لن تخرج من المطهر إلى الجنّة، وأن أروع ما يمكن أن تمنّ العناية الإلهية به عليك هو أن تحتجزك في المطهر، فلا تدفعك مكبّلاً بالسلاسل الزقّوميّة إلى جهنّم. يغدو ذلك كلّ حلمك: أن لا تقذف إلى جهنّم، رغم أن كلّ النساء الجميلات عبر التاريخ يمْرعْن فيها ويُتْرعْن، وأنت تحبّ النساء الجميلات وتسعى إليهنّ حيثما كنّ بشغف جهنّمي.

وأنا أعرف، وأنا أكثر العارفين جهلاً، أن الكثيرين في الثقافة العربية أولعوا بشيكسبير، وأن ثمة ترجمات عديدة لبعض من أهم أعماله. وأعرف بشكل خاص أن صديقاً غالياً رحل عنا تاركاً لنا بين مأثوراته ترجمات رائعة لشيكسبير. وأعرف أن هذا الراحل المدهش ترجم بين ما ترجم بعض "سونيتات شيكسبير". ولأن جبرا ابراهيم جبرا كان مترجماً رائعاً فإنني، بهيبة عميقة، اخترت أن أفعل ما أنا في سبيلي إلى فعله دون أن أقرأ ترجمته. فقراءتها قبل أن أترجم ستأسرني في قيد لا فكاك منه، وقد ترغمني على أن أتخلى عما أنوي أن أقوم به. ولأن لديّ أسباباً ملحّة لن أبوح بها الآن للتجرؤ على ترجمة سونيتات شيكسبير، فسأفعل ذلك دون تعريض نفسي لتأثير جبرا الذي قد يكون ماحقاً لو تركت له أن يعمل سحره في نفسي.

هكذا، إذن، أدخل المطهر مرتعداً مثقلاً بما لا طاقة لي على حمل أعبائه. وأبدأ بترجمة ال "سونيتس". وأول ما أفعله هو أن ألحّ على ما لا يلحّ عليه غيري، وهو أن أترجم كلمة "سونيت" نفسها. وذلك ذروة العبث، وذروة الصعوبة. وأنا لا أتردد أبداً في فعل ما يراه الآخرون عبثاً لأنهم أقل جرأة من أن يحاولوا معالجة صعوباته. وسأترجم ال "سونيت" ب لفظة "توشيحة"، لا عبثاً، بل لأن بنية ال "سونيت" هي في الواقع نوع من التوشيح الذي نراه في الموشح العربي في عشرات التجليات. وثمة سبب أقل عبثاً ويتطلب جرأة أعظم لإعلانه، هو أنني- دون تنفّج ومنفخة على الطريقة العربية المألوفة- أظنّ (مدركاً أن بعض الظن إثم لكنّ كلّ الظنّ ليس كذلك)، أن الموشّح العربي

في الاندلس قد يكون النموذج الذي اقتبسه الشعراء الاوروبيون، ضمن عملية استعارتهم لشعر الحب العربي فيما يسمى (courtly love)، حين بدأوا ينظمون شعراً بتركيب معقّد وصل في صيغته النهائية إلى الاستقرار في شكل أسموه ال "سونيت". وذلك أمر يستحق البحث، وهو ما خصصته بهذه الدراسة التمهيدية.

غير أن لي غرضاً هاماً في هذا الجزء من هذه الدراسة، هو أن أشير إلى أنني في استغراقي في قراءة شيكسبير وترجمة ال "سونيتات" كنتُ أفتتن بروعة اللعبة اللغوية والفكرية التي يمارسها من أجل أن يضبط إيقاع السونيت ووزنها العروضي، ويؤمّن في الوقت نفسه بنية نظام القوافي المطلوب فيها، وكنت أشعر بالأسى لأنني في ترجمتي لها نثراً أضيع هذا الثراء وتلك البراعة التي كانت دائماً، في ثقافتنا وثقافات غيرنا، بين أكثر ما يثير إعجاب المتلقّين للشعر، وأجمل ما يطرونه فيه حيثما وجدوه. ثم اندلعت شرارة من كلمة قالتها لي روث أبوديب، زوجتي، التي تحفظ الكثير من شيكسبير عن ظهر قلب –كما قالت العرب: "إن الترجمة المثلى للسونيتس ينبغي أن تكون قادرة على إبراز بنيتها، من العروض إلى نظام التقفية فيها، و إبراز علاقتها بالسونيت البترارکية ذات البنية المغايرة، وإلا ضاع الكثير من سحرها على المتلقي".

وبدا الأمر محالاً. وتذكرت مقولة الجاحظ قبل ١٢٠٠ سنة إن الشعر لا يترجم. لكنّ لحظة عناد جمالي دفعتني إلى أن أحاول ترجمة عدد من ال "سونيتات" بالطريقة المثلى هذه. وفعلتُ. غير أن المفاجأة الحقيقية أتت بعد ذلك بزمن ، إذ وجدتني أغمغم بكلمات أولى لقصيدة تكاد تكتب نفسها لا علاقة لها بالترجمة، بل بي أنا وحسب. قصيدة لي تسعى إلى أن تولد. وما كدت أكتب السطرين الأولين منها حتى أدركت أن غواية شيطانية غريبة تقودني من لساني إلى كتابة القصيدة المخاضية في بنية ال "سونيت" التي كنت قضيت أياماً منهمكاً فيها.

وكتبت القصيدة نفسها، ورأيت فيها إمكانية لكتابة شعرية بالعربية تستغل معرفتنا بشيكسبير وهذا النمط المركّب الغنيّ من التشكيل الشعري.

تشكيل قديم لكتابة جديدة في زمن يكاد معظم من يكتبون الشعر بالعربية فيه أن يكتبوه بالنثر نابذين\نابذات(خصوصاً هنّ) كلّ ذلك الثراء العظيم في إيقاعات الشعر العربي عبر تاريخه. وذلك وأيّم الحق أمر جلل.

لكن كما يحدث في كل شكل شعري حين يمارسه كاتب لا يؤمن بإطاعة الأنظمة أيّاً كانت – شعرية أو سياسية أو أخلاقية – صاغت القصيدة التي كتبتها نفسها في نهاية الأمر. فقد وصلتُ في لحظة ما إلى نقطة اكتملتْ معها ال "سونيت" التي أكتبها بنمطها الشيكسبيري، من حيث النظام العروضي ونظام التقفية، لكنني وجدت اللغة تستمر في الانتساج متجاوزة نقطة اكتمال ال "سونيت" وكأنما هي نهر يخترق ضفافه ويطلب حرية الانتشار في الأرض. فتركتها تفيض. وهكذا اكتمل نصّ يحقق بنية ال "سونيت" أولاً ثم يمضي ليطوّرها إلى صيغة أكثر رحابة لكنها امتداد للنظام الذي تقوم عليه، لا نسف له.

(٢)

والنص الذي كتبته يحقق النظام المفترض في ال "سونيت"، لكنه يضيف بعد ذلك فقرة خامسة لها تركيب سداسي يجمع، من حيث العدد، بين التركيب الرباعي للفقرات الثلاث الأولى والتركيب الثنائي للخاتمة، ويداخل بين قافية "الخاتمة" وقافية جديدة، محققاً بذلك تواشجاً نغميّاً بين الفقرات أو شبكة صوتية تضمّها. هكذا يمكن وصف هذا النظام بالطريقة التالية:

(أ ب أ ب \ت ث ت ث \ ج ح ج ح \ خ خ \دخ د خ خ د).

لكن ليس ثمة ما يمنع من أن يكون المقطع السداسي المضاف ذا قافيتين متناوبتين بالصورة: (د ذ د ذ د ذ). وسيكون مشوّقاً أن نرى نصاً كهذا يكتب.

وقد رأيت أن أنشر هذا النص مع هذه الترجمة لأسباب عديدة، أهمها أنه يكشف جانباً بعيد الدلالة من جوانب عملية الإبداع ويجلو كيف يمكن أن يبرز في عمل شاعر تحوّل وتطوير لبنية موروثة يألفها تماماً، بصورة عفوية أحياناً ومتعمدة أحياناً، وأن آليات التأثر والتأثير لا تنتج دائماً صورة طبق الأصل عن بنية أو شكل أو نظام يكتسب المرء معرفة به من ثقافة أخرى أو من عمل داخل ثقافته الخاصة. وهذه النقطة على قدر كبير من الأهمية فيما يتعلق بالأطروحة التي أقدمها في هذا الكتاب عن نشوء السونيت من خلال المعرفة بالموشحات الأندلسية.

(٣)

ثمة نمطان من الترجمة في هذا الكتاب: الأولى نثرية (أو في صيغة قصيدة النثر)، والثانية منظومة ومقفّاة. وسيلاحظ بسرعة أن ثمة فروقاً جلية بين الترجمتين، تظهر كيف تفرض محاولة الترجمة إلى لغة المنظوم المقفّى متطلبات خاصة بها لا تضطر المرء إلى مثلها الترجمةُ النثرية.

و أودّ أن أشير إلى أنني لم أتقيد في الترجمة الشعرية، أو في النص الذي كتبته، بضرورة توفير عدد واحد من المقاطع الصوتية، أو من التفعيلات، في كل بيت من النص. فذلك فوق طاقتي بكثير – الآن ، على الأقل.

مراوغة الحسّ والحلم

ترحلين إلى فتنةِ الحلمِ، من وَهنِ الحِسِّ، مثل طيورٍ تهاجر في غسَق أبيضٍ فوق بحرٍ بعيدْ.

خدرُ الحسِّ واللمسِ يُضْفي عليكِ غلالة سحرٍ شفيفهْ

وتصيرينَ مثل ندى كان أمسِ يلألئُ فوق البراعم عذباً وئيدْ

ثم فاجأهُ لهبُ الشمسِ، صار النهارُ سعيرَ شواظٍّ عنيفَهْ.

في سعيرِ الغيابِ يزيغُ بنا الحسُّ، تصبحُ ذاكرةُ الطلِّ فوق البراعمِ وهماً توهّمهُ البصرُ المتوهّجُ يوماً، وكان سرابْ

ونصارعُ كي نستعيد برودة فجرٍ نديٍّ رهيفِ النسيمْ

ويُخاتِلنا عبقٌ نتخيّل أنّا شممناهُ حين ترامى على شجْرةِ الوردِ سربُ الزرازير بعد شهورِ الغيابْ

ويُخاتِلنا ملمسٌ لتويجاتها نتوهّم أنّ أناملنا مسَّدتْهُ، وصوتٌ رخيمْ

للشحارير وهْي تُداعِبُ أفراخها في ظلالِ الخميلةْ

وتنقّر حبَّاتِ قمحٍ وقطعة خبزٍ تركنْا لها فوق صحنٍ عتيقٍ مُرفْرِفةَ خائفةْ،

ويُراوغُنا عسلٌ لم نذُقْهُ، وآخرُ ذقناهُ، والجسدُ المسبكِرُّ يلوبُ بنا. وتُراوغُنا صورٌ لم تكنْ...أمْ، تُرى، أمسٍ كانت ولكنّها ...مثل عينيكِ، مثل طراوةِ نهديكِ، مثلَ الحوافي الظليلةْ

بين فخذيكِ، كانت مِنَ السّحرِ والدفءِ والفيضِ بالنشوةِ الراعفةْ

بحيثُ استحالتْ إلى حُلُمٍ لا نُصدِّقُ أنا امتلكناه أمسِ، ككلّ جميلٍ جميلْ

نتوقُ إليه طويلاً، ونملكُهُ مرّةً، فيفيضُ علينا بما يُذْهِلُ الحسَّ، يغمُرُهُ خَدَراً، ثمّ يهربُ منّا إلى عالمِ الحُلْمِ، يصبحُ مُستغْرباً مُستَحيلْ!

مثل كلِّ جميلٍ جميلِ

يُنالُ ويُنأى، فيصبحُ حُلْماً بما لا يُنالُ، ويدخُلُ في غابةِ المستحيلْ

ويطْويهِ في كهفه، في اختلاطٍ وغيبوبةٍ، غيْهبُ الأَزْمِنةْ.